مجلة "نتائج الفكر" الصادرة عن معهد الآداب واللغات
المركز الجامعي صالحي أحمد النعامة

العدد05، 06 . السنة 2020، ص 127–142
ISSN 2477-992x / EISSN 2773-2762

قراءة في إلياذة الجزائر لشاعر الثورة مفدي زكريا

A reading in Algeria iliad by mofdy zakaria

د. بوصوري الناصر

المركز الجامعي آفلو– الجزائر. nacerbenacernasri@gmail.com

مُلخّص البحث

في هذه الورقة البحثية قراءة في إلياذة الجزائر لمفدي زكريا الذي تحدث فيها عن جمال مناظر الطبيعة في الجزائر و عن جلالها وعظمتها عبر التاريخ وأيضا عن بطولة رجالها ونسائها الذين صنعوا مجدها بمعارفهم وتضحياتهم.

الكلمات المفتاحية: مفدي زكريا ، الإلياذة ، الطبيعة ، الجزائر.

Abstract:

In this research sheet a reading in Algeria Iliad by Mofdy Zakaria who talks in it about the beauty of nature views in Algeria and about Its majesty and greatness along his history and also about heroism of their men and women who made its glory by their knowledge and sacrifices

Keywords: :; Mofdy Zakaria، Algeria Iliad; nature Algeria.

المؤلّف المرْسِل: الناصر بوصوري nacerbenacernasri@gmail.com

المقدمة:

وَأَوْقَفْتُ رَكْبَ الزَّمَانِ طَوِيلاً أُسَائِلُهُ: عَنْ ثَمُودَ ...وَعَادِ
وَعَنْ قِصَّةِ المَجْدِ...مُنْذُ عَهْدِ نُوحٍ وَهَلْ إِرَمُ...هِيَ ذَاتُ العِمَادِ؟
فَأَقْسَمَ هَذَا الزَّمَانُ يَمِيناً وَقَالَ:الجَزَائِرُ ...دُونَ عِنَادِ!

تتناول هذه الورقة البحثية قراءة في ملحمة الجزائر، إلياذة مفدي زكريا الشاعر الفذ الذي آمن بقضية بلاده وحمل لواءها طويلا، حمل القضية في عقله وقلبه فأنتج روائع سيخلدها التاريخ على مرّ العصور، وستبقى شاهدة على فحولته الشعرية مدى الأزمان والدهور، تتناول قراءة ما جاء في شقيها المتعلقين بالجمال والجلال؛ جمال مناظر الجزائر من شمالها إلى جنوبها بتلها وصحرائها بسهولها وسهوبها، وجلال وعظمة الجزائر بتاريخها ورجالها الذين صنعوا مجدها عبر العصور والأزمان ببطولاتهم وتضحياتهم الجسام وبمعارفهم الفكرية والفنية والفلسفية.

تعريف الملحمة:لغة واصطلاحا:

يُعرَفُ الشعر الملحمي على أنه أحد فنون الشعر«فقد اتفق النُّقاد على حصر مظاهر الشعر في ثلاثة فنون رئيسية، هي الشعر الملحمي، والشعر الغنائي، والشعر التمثيلي.فالملحمي منها قصصي بطولي متشعِّبٌ طويل السَّرد، فيه العظمة، والخوارق، والأهداف الكبيرة، والآمال الوساع، والنَّزعة الإنسانية، والإتجاه القومي، والمجال الرَّحيب، وهو أقدم الفنون، هدفه الجماعات لا الأفراد، وتمجيد الأمَّة لا نقْدُ المجتمع، وبهذا يشذُّ عن الفنَّين السابقين.»[1]

وقد جاء في معجم المعاني الجامع: المَلْحَمَةُ : الحربُ الشديدة، **المَلْحَمَةُ** : موضعُ الحرب، **المَلْحَمَةُ** : عمل قصصيٌّ له قواعدُ وأصول، يشاد فيه بذكر الأبطال والملوك وآلهة الوثنين، ويقوم على الخوارق والأساطير[2]

و بما أن الملحمة لا ترتبط مباشرة بأدبنا العربي فلا بد من الحديث عنها في اللغات الأجنبية«فكلمة epic الإنكليزية مشتقة من eposاليونانية التي تعني الكلام أو الحكاية أو الشعر الملحمي.»[3]

أما في المعجم الأدبي فقد عرفها جبور عبد النور بقوله: «تحديدها:هي في الفنون الأدبية قصيدة سردية بطولية خارقة للمألوف، تعتمد بدءً مخيلة إغرابية بخلقها عالما أوسع وأكبر من العالم المعروف، وتستندُ إلى سرد أحداث تمتزج فيها الأوصاف، والشخصيات، و الحوادث، والخطب، والنصائح وتندرج كلها في حكاية تلفُّها في وحدة واضحة، وهي متطورة ومتسلسلة، حسب أساليب الرواة الأولين بإغراقها في تشابيه واستعارات، وتتوجه أصلا إلى الشعب الساذج الذي ينفعل بالأخيلة، والأوهام، والأساطير، وتميز بقوة إيحائية كبيرة بحيث تخرج السامع أو القارئ إلى عالم جديد خيالي.»[4]

و الشعر الملحمي، فن من فنون الأدب قوامه القصص البطولي، والأعمال العظيمة الخارقة والسرد الطويل المتشعب، وهو حكاية شعب في نضاله وفي تقدمه عبر الحياة المتطورة، وتاريخ لأمجاده وسجل لوقائعه الكبرى ومآثره بين الشعوب.إنه «إبداع غير مكتوب لم يجرِ تثبيته بالكتابة إلا في المرحلة الأخيرة من تطوره.»[5] إنه يعنى بالإنسان كجماعة لا كفرد، ويهتم بالعمل الكلي، على نقيض ما يفعل الشعر الغنائي. وهو يمجد الأمة ويمتدح فضائلها ويتغنى بما يصدر عنها من عمل، مخالفاً بذلك حقيقة الشعر المسرحي أيضاً، لأن قوام المسرحية نقد المجتمع وإبراز عيوبه وتبيان المتناقضات فيه، وإظهار خيره وشره معاً، للموازنة بينهما، بغية الخلوص إلى محاربة الشر والقضاء على المعايب .

«إن الملاحم البطولية موجودة عند أكثر الشّعوب، وهي حكايا شعرية تروي حوادث ذات أهمية من الدرجة الأولى وقعت في الماضي المجيد فكانت نقاط انعطاف في تاريخ الشعب المعني...»[6]

ولذلك فـ «الشعر الملحمي قوامه القصص البطولي والأعمال العظيمة الخارقة، والسرد الطويل المتشعِّب، وهو حكاية شعب في نضاله، وفي تقدُّمه عبر الحياة المتطورة، وتاريخٌ لأمجاده، وسجِّلٌ لوقائعه الكبرى ومآثره بين الشُّعوب، فهو يُعْنى بالإنسان كجماعة لا كفرد، ويهتمُّ بالفعل الكلِّي على نقيض الشعر الغنائي، و هو يمجِّدُ الأمة، ويمدحُ فضائلها، ويتغنَّى بما يصدر عنها من عمل.»[7]

فالشعر الملحمي إذاً، جماعي المنطلق، بمعنى أن البدء به إنما يسير من الجماعة نحو الفرد، أو قل إن الفرد فيه يذوب في بوتقة الجماعة، وخاصة ذاتية الشاعر إذ تراه متوارياً عن الأنظار، يسرد لك

أخبار الآخرين، ويتتبع خطاهم، وهو بعيد عنهم، ويترك للأبطال أن يتصرفوا، في حين أن الشاعر الغنائي لا يتخلى عن ذاته، ولا ينطلق إلا منها، فهو ينظر إلى الآخرين من خلالها على عكس الشعر الملحمي تماماً .

ولكل هذه الاعتبارات كان الشعر الملحمي من أقدم الفنون الشعرية وأسبقها إلى الظهور. هو شعر الفطرة والسذاجة في بعض معانيهما، نشأ في طفولات الشعوب، وامتزج بألوان تفكيرها البدائي، وعبر عن حياتها التي لم تكن قد تعقدت بعد، ولم تكن قد داخلتها معطيات التمدن والرقي فجاء مشبعاً بالأساطير والخرافات، التي لا نصيب لها من حقيقة الواقع سوى نزر يسير .

وإجمالاً يمكننا القول إن الملحمة قصيدة«تدور أحداثها حول معارك ضخمة وبطولات خارقة خاضها شعبٌ من أجل قضية تتصل بوجوده الإنساني والقومي، و دفاعاً عن مأثوراته ومقدساته العريقة، وهي إذْ تصفُ المعارك والبطولات تصوّرُ عصرا بكامله من عصور هذا الشعب، وما يعيش فيه من تقاليد، ويسعى إليه من مُثُلٍ، ويتبنّاه من مفاهيم ومعتقدات وأفكار.»[8]

مراحل تكوّن الملحمة الحقيقية :

لم يكن الشعر الحقيقي ليستوي في الوجود فناً مكتمل الأجزاء متوافر الشروط دفعة واحدة. وإنه لألزم لقانون التطور أن تكون هنالك مراحل زمنية غير قصيرة، قد رافقت تطور الشعر الملحمي حتى غدا ذا قواعد وأصول. على أن أوضح هذه المراحل ثلاث، تكوّن إبانها جوهر الشعر الملحمي هي: المرحلة الدينية، والمرحلة البطولية، والمرحلة الأدبية :

1- أما المرحلة الدينية، فالمرجح أنها تعود إلى الزمن الذي لم يكن فيه الأبطال البشريون قد ظهروا بعد. وإنما كانت البطولة كلها متمثلة في آلهة الخير، والشمس هي التي تمثل الخير والنور، توزعت قواها على عدد من الآلهة تزايد يوماً بعد يوم كما توزعت قوى الشر على عناصر متعددة كالشياطين والمردة والتنانين والعواصف والزلازل وما إلى ذلك .

2- وأما المرحلة البطولية فتبدأ يوم عمد الإنسان إلى تمثيل الأعمال الإلهية بأعمال بشرية. كانت القبائل البدائية تتنازع فيما بينها من أجل مقومات الحياة، فنشأت عن ذلك فكرة الشخصية

الجماعية للقبيلة والمصالح المشتركة بين أفرادها. وفي أثناء هذه الحروب تميز رجال بشجاعتهم، وحكمتهم، ووقائعهم الكبرى، ودهائهم في المعارك، فعمدت مخيلة الأقوام إلى التغني بالأساطير وتضاف إليها أساطير أمم أخرى، لتكون منها معطيات ملحمية تنمو نموّاً غير محدود عبر العصور الطويلة فلا يبقى للملاحم سوى مرحلتها الثالثة النهائية حتى تستوي أسفاراً قومية رائعة، وهي ما سميناه المرحلة الأدبية، وهي تبدأ عادة باستقرار الأمة، وتنظيم شؤونها في كيان موحد، وكلّ قومي وطني. إذ ذاك، يصرف الشعراء همهم إلى العناية بجمع الشتات الذي يتكون منه التراث الملحمي، حتى إذا قيض له شاعر عبقري جمعه في كل ملحمي متناسق، متماسك الأجزاء مكتمل الشروط. 9

ثم جاءت المرحلة الأدبية وهي خاتمة المراحل، والملحمة الأدبية هي التي عرفها العصر الحديث، إذ تغيَّرت المفاهيم و صار الإنسان يؤمن أن الإنسان وحده هو البطل وهو من يصنع مصيره بيده ويصنع المعجزات، وصارت الشعوب هي التي تصنع التاريخ العظيم، وبذلك انتقل موضوع الملحمة من الآلهة والبشر أشباه الآلهة إلى الشعوب وهي بطولات من الواقع المعيش الذي مرت به هذه الشعوب في رحلة وجودها.

الأدب العربي والملاحم: لم يعرف فن الملحمة – بمفهومه الغربي –في الأدب العربي قديما منذ العصر الجاهلي وإلى العصر الحديث، ويرى جورج غريب أن العرب عرفوا الشعر الملحمي «لم يعرفوا الملحمة كبناء في لغتهم الأدبية رغم وفرة المواضيع، و وفرة العبقريات، و وقوع الأدب اليوناني بين أيديهم و معرفتهم له ورغم وقوفهم على شهنامة الفردوسي..ولكنهم لم يستسيغوا هذا النوع من الأدب ولم يقلدوه فظلوا عن معزل عنه، فلا عجب أن يتهمهم ابن الأثير بالتقصير في مدى الإطالة الشعرية وهم أبناء بطولة و فروسية و فيض شعري.»[10]

ويبدو أن ميزات العصر الجاهلي كانت بيئة مناسبة لظهور هذا النوع من الأدب ففيها الأساطير والخرافات كما فيها الشجاعة والحروب والبطولات «ومما لا ريب فيه أن الجاهلية كانت خير بيئة مهيأة لنشوء الملاحم، بفضل مافيها من أحداث، وبطولات، وأساطير، و فروسية، وعصبية،

وغزوات، ومفاخرات، و منافرات، وأسواق للشعر والخطب، وحروب، وأحاديث، و خوارق، و تبجُّح بالأنساب، و وصف لميادين القتال.و مع هذا فقد خلت من الفن الملحمي.»[11]

وقد حاول بعض الشعراء العرب في العصر الحديث كتابة الملحمة، فكتب الأديب المصري أحمد محرم(/1945م) **الإلياذة الإسلامية** في أربعة أجزاء، يحكي فيها سيرة الرسول – صلى الله عليه وسلم – عن حياته وهجرته وغزواته في جزئها الأول، ويتناول في الثاني والثالث الغزوات التي غزاها الرسول الكريم . ص . وفي الجزء الأخير حديث عن الوفود التي وفدت على الرسول– صلى الله عليه وسلم– والسرايا التي اتجهت إلى مختلف البقاع والأصقاع حاملة دعوته إلى الناس، ومن المحاولات أيضا تذكر محاولة خليل مطران الذي كتب قصيدة قصصية بعنوان **فتاة الجبل الأسود** وتصور ثورة سكان الجبل الأسود ضد الأتراك وتصور بطولة فتاة تنكرت في زي شاب واقتحمت موقعا للأتراك وقتلت بعضا من رجالهم فلما أُسرت تبين لهم أنها فتاة فأعجبوا ببطولتها وشجاعتها فقاموا بإطلاق سراحها.

وفي الأدب الشعبي عُرف هذا الفن على نحو ما، فيما عرف بملحمة عنترة أبي الفوارس وتغريبة بني هلال.

وقد تعود أسباب خلو الأدب العربي قديما من هذا الفن كما يرى أحد الباحثين[12] إلى :

أ/ فقدان الشعور بالقومية التي تعدُّ من دواعي نشأة الملحمة.

ب/ اقتصار الشاعر العربي على الشعر الغنائي الذي لا يلائم الملاحم.

ج/ فقدان الحروب الطويلة والدامية ليصور الشاعر الملحمي مافيها من بطولات.

د/التزام الوزن الواحد في الشعر العربي.

ورغم خلو الأدب العربي من فن الملاحم للأسباب المذكورة آنفا إلا أنه اشتمل على قصائد ومطولات كثيرة منها المعلقات المشهورة، وبعض القصائد التي أرخت لبعض المعارك – باعتبار الملحمة قصة بطولية – مثل بائية أبي تمام التي أرَّخت لفتح عمورية، والتي مطلعها:

السيفُ أصدقُ إنباءً من الكتب

في حدِّه الحد بين الجد واللعب

و أرجوزة أحمد شوقي الموسومة بـ:دول العرب وعظماء الإسلام التي يفوق عدد أبياتها ألفي بيت، و ملحمتي الشاعر اللبناني بولس سلامة (1902/1979م) المعنونتين:عيد الرياض التي أهداها للملك فيصل ملك السعودية، و عيد الغدير وهي ملحمة إسلامية تتحدث عن سيرة أهل البيت وتنتهي بما حدث بكربلاء.[13]

و من أمثلة الملحمة الأدبية إلياذة الجزائر للشاعر الفذ مفدي زكريا، فمن هو هذا الشاعر الذي التصق اسمه بالثورة الجزائرية المجيدة، وما هو محتوى إلياذته التي ألفها في تمجيد ثورة الشعب الجزائري.

ذلك ما أحاول أن أجيب عنه في هذه العجالة، وأرجو أن تتسع صدوركم لكلماتي البسيطة هذه.

مفدي زكريا[14] (شاعر الثورة الجزائرية): شاعر الثورة الجزائرية ومؤلف النشيد الوطني الجزائري «قسما» الذي تضمن أبدع تصوير لملحمة الشعب الجزائري الخالدة.

هو الشيخ زكرياء بن سليمان بن يحي بن الشيخ سليمان بن الحاج عيسى، و قد ولد يوم الجمعة 12 جمادى الأولى 1326 هـ، الموافق لـ 12 يونيو1908 م، **ببني يزقن**، أحد القصور السبع لوادي مزاب، بغرداية، في جنوب الجزائر.

لقبه زميل البعثة الميزابية والدراسة الفرقد سليمان بوجناح بـ: "مفدي"، فأصبح لقبه الأدبي مفدي زكريا الذي اشتهر به كما كان يوَقِّع أشعاره "ابن تومرت"، حيث بدأ حياته التعلمية في الكتاب بمسقط رأسه فحصل على شيء من علوم الدين واللغة ثم رحل إلى تونس وأكمل دراسته بالمدرسة الخلدونية ثم الزيتونية وعاد بعد ذلك إلى الوطن وكانت له مشاركة فعالة في الحركة الأدبية والسياسية حيث انتمى إلى حزب الشعب الجزائري، ولما قامت الثورة انضم إليها بفكره وقلمه فكان شاعر الثورة الذي يردد أناشيدها وعضوا في جبهة التحرير مما جعل فرنسا تزج به في السجن مرات متوالية ثم فر في آخرها منه سنة 1959 فأرسلته الجبهة خارج الحدود فجال في العالم العربي وعرف بالثورة وافته المنية بتونس سنة 1977 ونقل جثمانه إلى مسقط.وشاعرنا هذا«يعدُّ بحق من أبرز الشعراء في عهد الثورة وأقواهم صوتا من الجيل المخضرم، فبعد سكوت طويل ماتزال أسبابه مجهولة ظهر في

صِحافة الثورة وفي نشيد ''قسماً''على أمواج الأثير، وفي المحافل الأدبية في المشرق والمغرب العربي، باسم ابن تومرت.»[15]

يذكر أنه صاحب شخصية امتازت «بالتفتح والبساطة، وعدم الانطواء والتَّعقد، فقد كان دمث الأخلاق، سمح الطبع، لطيف المعشر، كثير الميل إلى التنكيت والدَّعابة، دائم التَّبسُّملا تفارق البسمة محيَّاه حتَّى في أحلك الظروف، سريع الانسجام بالآخرين. بعيد في علاقته بالآخرين عن التَّصنُّع والتَّكلُّف، كريم إلى حدِّ التَّهور، يمدُّ يد المساعدة لأصدقائه دون تحفُّظ.»[16]

من آثاره الكثيرة نذكر: تحت ظلال الزيتون، اللهب المقدس، من وحي الأطلس، النشيد الوطني (قسما) و غيرها من الأناشيد الوطنية الأخرى.

ومن آثاره النثرية بالاشتراك مع غيره:''الأدب العربي في الجزائر عبر العصور ''في أربعة أجزاء، و ''تاريخ الصحافة العربية في الجزائر.''

قراءة في إلياذة الجزائر:

لقد كانت الغاية من هذا العمل – تأليف الإلياذة–هو كتابة التاريخ الجزائري وإزالة ما علق به من شوائب وتزييفات، وقد اشترك في وضع المقاطع التاريخية كل من مفدي زكريا الذي كان متواجداً بالمغرب ومولود قاسم نايت بلقاسم الذي كان بالجزائر وعثمان الكعاك الذي كان وقتها بتونس وتتكون الإلياذة من ألف بيت وبيت تغنت بأمجاد الجزائر، حضارتها ومقوماتها لمختلف المستعمرين المتتاليين عليها وكانت أول مرة يلقي الإلياذة أو البعض منها لأنها حينها لم تكن قد بلغت الألف بيت بل كانت تبلغ ستمائة وعشرة أبيات ألقاها في افتتاح الملتقى السادس للفكر الإسلامي في قاعة المؤتمرات من قصر الأمم أمام جمع غفير من بينهم الرئيس هواري بومدين، مناسبة أخرى اقترنت بإلقاء هذه الأبيات واختيار التاريخ موضوعا لها، وهي الاحتفال بالعيد العاشر لاسترجاع الحرية والذكرى الألفية لتأسيس مدينة الجزائر والمدية وملیانة على يد بلكين بن زيري(17).

بدأت قصة الإلياذة بعد اتصال المرحوم مولود قاسم بالشاعر بداية1972م طالبا منه نظم هذه الإلياذة، وعبَّر له عن استعداده التام لنظمها وتم التعاون بين الثلاثة المشار إليهم آنفا وكانت تتم الاتصالات بنهم بواسطة الهاتف لوجودهم في بلدان مختلفة.

وهكذا نشأت إلياذة الجزائر ونمت وترعرعت حتى صارت مكتملة ومن بداية العام حتى تاريخ انعقاد الملتقى صارت 610 أبيات تلاها الشاعر بصوته في افتتاح الملتقى وسجلتها الإذاعة والتلفزيون الجزائري يوم 13 من جمادى الثانية 1392هـ/الموافق ليوم 24 جويلية 1972م أمام جمع غفير من الأساتذة والدكاترة والمشائخ من القارات الخمس و الطلبة الجزائريين وكذا أمام جمع من رجال السياسة في الجزائر ومن بينهم الرئيس الراحل هواري بومدين، لتواصل الإلياذة مسيرتها التأليفية لتصل الألف بيت وبيت، وطبعت ضمن أعمال الملتقى المذكور، بل وترجمت إلى الفرنسية كذلك من قبل الطاهر بوشوشي الأديب الجزائري المعروف وطبعت في دار البعث بقسنطينة .

يذكر كذلك أنها كُتِبت بيد الخطَّاط عبد المجيد غالب

يقول المرحوم مولود قاسم في مقدمة الطبعة الثانية:«وسميناها إلياذة الجزائر:وإن كانت تمتاز عن إلياذة هوميروس بالفارق العملاق:فبينما هذه الأخيرة أي الإلياذة اليونانية، لا تروي إلا أساطير، نجد إلياذة الجزائر قد خلَّدت أمجاداً حقيقية، وسطَّرت تاريخ وقائع وأحداث هي من روائع الدَّهر، لا من خلق الجن، ولا من اصطناع شاعر، ولكن من صنع الإنسان الجزائري في الميدان!وقد قسَّمها مفدي زكريا إلى جزئين، قسم الجمال، أي الجمال الطبيعي للبلاد، وقسم الجلال، أي المجد التاريخي، وإن تداخل القسمان أحيانا.»[18]

الجمال والجلال في الإلياذة:

يخصِّصُ مفدي زكريا المقاطع التسعة عشر الأولى من إلياذته للقسم الأول أي الجمال الطبيعي للبلاد فيذكر إبداع الله للجزائر على الروعة التي هي عليها والسحر الذي تتميز به عن غيرها وعن إيمانه بشعبها، ثم يجول بنا في ربوع الجزائر بدءً من عاصمتها البيضاء بأحيائها وشوارعها وما تثيره من ذكريات في نفس الشاعر ومن حب خالد للوطن، ولا ينسى التذكير ببعض رموز الاستدمار الفرنسي وما اجترحوه في حق الشعب الجزائر من مجازر و ترهيب وتقتيل (ماسو. سالان . سوستال)

ويتنقل إلى أجزاء أخرى من الوطن (حمام ملوان، حمام ريغة، الشريعة) وهي مناطق سياحية شهيرة بالجزائر مازالت قبلة لطالبي الشفاء بمياهها المعدنية و هوائها العليل، ثم يسافر بنا إلى بجاية وجيجل و وادي الهوى وسيدي مسيد وجبل الوحش بقسنطينة، ولا يلبث أن يطير بنا غربا إلى تلمسان(شلالات الأوريط) مذكرا بمجدها التليد مع الغوث أبي مدين شعيب وأبي حمو الزياني مؤسس الدولة الزيانية بها وابن خميس الشاعر ويحي بن خلدون الأديب و المؤرخ (شقيق عبدالرحمن بن خلدون) وهران ويذكر هنا مدينة فاس المغربية للإشارة إلى ارتباط أقطار المغرب ببعضها وقد كان شاعرنا من أشد أنصار فكرة اتحاد المغرب العربي .

ثم يعود إلى الوسط فيذكر البليدة و المدية وقصر البوخاري و ينتقل إلى الجلفة والأغواط في طريقه إلأى موطنه الأصلي وادي ميزاب وتلغمت القريبة من مدينة بريان وغرداية ويفخر بانتمائه إلى هذه البقعة من أرض الجزائر التي جمعت المفاخر من العرب والفرس وفيها أحفاد أول من ركز سيادة الجزائر في إشارة إلى الدولة الرُّستمية، ويشق طريقه في صحراء الجمال والجلال بخيراتها ورجالها وحتى حيواناتها وما تعلمه الإنسان الجزائري من صبر وثبات.

و يختم هذه المقاطع، بمقطع (المقطع 19) يضمنه ما يخالج قلبه نحو وطنه

فيأأيُّها النّاسُ... هَذِي بِلادِي

ومَعْبَدُ حُبِّي، وحُلْمُ فُؤَادِي

وإِيمَانُ قَلْبِي وخَالِصُ دِينِي

ومَبْنَاهُ..فِي مِلَّتِي واعْتِقَادِي[19]

وبدءً من المقطع عشرين يشرع في الجانب التاريخي(جانب الجلال) بادئاً بتاريخ تأسيس الجزائر العاصمة، وهي المناسبة التي تزامنت مع انعقاد الملتقى الفكري واحتفالات استرجاع السيادة الوطنية ومن خلال هذا المقطع والمقاطع التي تليه يعرج على تاريخ الجزائر منذ القديم فيذكر أحرار الأمازيغ

الذين وقفوا سدا منيعا في وجه روما وحاربوها و حاربوا الخونة من أبناء جلدتهم مثل صفاكس فيذكر(فيرموس الموحد، و ماسينيسا الملك العظيم، و يوغرطة الحفيد، وتاكفاريناس الثائر)دون أن ينسى الفيلسوف والقديس أوغستين و لا يوبا الثاني أوأبوليوس لوكيوس أول روائي في تاريخ البشرية صاحب الحمار الذهبي، و يبرز دور الدين في توحيد الأمازيغ والعرب، ثم يشير إلى تأسيس الرستميين أول دولة على أرض الجزائريين ذاكرا شاعرها الفحل بكر بن حماد وأفلح بن عبد الوهاب أحد أئمتها الأوائل ثم الدولة الأغلبية التي تأسست بالقيروان وامتد نفوذها إلى طبنة والزاب الجزائري وشاعرها ابن الحسين التميمي الطبني، مؤرخ قرطبة وكذلك تأسيس الفاطميين دولتهم العبيدية الشيعية بمدينة مسيلة وشاعر الدولة الفاطمية ومتنبي المغرب ابن هانئ المسيلي الأندلسي والمعز لدين الله وقائده العظيم جوهر الصقلي الذي أسس القاهرة لأميره المعز ويفصل في بعض أحداث تلك العهود، ثم نراه يذهب إلى الدولة الحمادية والناصر بن علناس أحد أشهر سلاطينها اهتماما بالعلم والعلماء والشاعر ابن حمديس الصقلي الذي خلده بقصائد جميلة وخلد بجاية التي كانت مقصد العلماء والأدباء وطلاب العلم وما وصلت إليه حضارتها في ذلك الزمن ويذكر أبامدين شعيب والثعالبي وهما من أشهر علمائها.دون أن ينسى إحدى نسائها الشاعرات الشاعرة عائشة العمارية .(وعائشة هذه تعتبر من أشعر الشواعر في عصر الدولة الحمادية، قال عنها مفدي زكريا بأنها كانت لها أشعار رقيقة إلى جانب أهاجي قوية لاذعة كقولها في رجل أصلع تقدم لخطبتها:

عَذِيرِي مِنْ عاشِقٍ أَصْلَعٍ قَبِيحِ الإشارة والمَنْزَعِ

بِرَأْسٍ حُوَيج إلى صَفْعَةٍ و وَجْهٍ حويج إلى بُرْقُعِ.[20]

لينتقل بنا إلى عبد المؤمن بن علي مؤسس الدولة الموحدية بندرومة و موحد تونس والجزائر والمغرب تحت إمرة المهدي بن تومرت، و يذكر بعض رجالها مثل شاعر الموشحات الشريف بن عمارة والعالم يوسف الورجلاني(صاحب تفسير القرآن الكريم)، ومازال يطوف بنا من بني عبد الواد إلى الحملات الصليبية على الجزائر واستعانة الجزائر بالدولة العثمانية لصد العدوان، ويشير إلى جوع فرنسا وطلبها

القمح الجزائري ثم افتعالها حادثة المروحة واحتلال بلادنا.ثم انطلاق المقاومة بغرب البلاد وشرقها يقودها الأبطال عبد القادر الجزائري وأحمد باي دون أن ينسى المقاومات الأخرى التي قادها أبناء الجزائر في كل شبر من هذا الوطن من ثورة الزعاطشة في بسكرة إلى ثورة أبومعزة وبوبغلة ولالا فاطمة نسومر وثورة أولاد سيد الشيخ في الجنوب الغربي بقيادة سليمان بن حمزة إلى ثورة الشريف بوشوشة في جنوب الأغواط رفقة ناصر بن شهرة، وثورة الشيخ الحداد والمقراني والثورات التي شهدتها وهران والشلف وغيرها إلى ثورة الشيخ آمود بالهقار(موطن الطوارق).

ويحدثنا عن النضال السياسي الذي خاضه الأمير خالد وما فعله نجم شمال إفريقيا، ثم تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي جاءت إلى الوجود متزامنة مع احتفالات فرنسا الاستدمارية بمرور قرن على احتلال الجزائر في (31 من شهر مايو 1931م) بقيادة الشيخين عبد الحميد بن باديس و محمد البشير الإبراهيمي ودورها في توعية وتعليم أبناء الشعب.إلى نضال حزب الشعب الجزائري وحزب البيان المطالب بالاندماج .ثم تأتي مجازر الثامن من ماي لتفضح ألاعيب المحتل وتوقظ النائمين من غفلتهم ويوقنوا أن ما أخذ بالقوة فلن يسترد إلا بها لتأتي ليلة الفتح المبين؛ ليلة الفاتح من نوفمبر 54م فكانت مطلع فجر جديد غيَّر التاريخ وخلَّد الرجال الذين ضحوا بكل غال و رخيص وما تلاها من أحداث جسام، كلها يخلدها مفدي زكريا في إلياذته من أحداث 20 أوت 55 بسكيكدة إلى 20 أوت 65 بالصومام (المؤتمر) مذكرا أنها كانت سببا في تدويل القضية الجزائرية، دون أن ينسى قالمة وحمامها(وما تدور حوله من أساطير)، وعنابة وحروبها ضد الإسبان وفرنسا، وسوق أهراس .(تاغست) وقديسها، وتبسة وشهيدها العربي، وبسكرة ونخيلها ورمالها وذكرى عقبة الفاتح وما فعله الزعاطشة في مقاومتهم فرنسا وكذا طولقة والمغير و وادي سوف وإيواءها لأبطال ليبيا وتونس وكيف كانت طريق جلب السلاح زمن الثورة و دورها في مقاومة ابن ناصر بن شهرة، ولا يغمط الطلاب حقهم فإنهم حاضرون في إلياذة الجزائر وكل طبقات الشعب التي ناضلت ثم نراه يذكر المهاجرين وما فعلت بهم قوات بوليسها في نهر السين، ولا ينسى حتى الحيوان

الذي كان له دوره في حرب الخلاص من بغال وحمير و معز وكلاب وحتى فئران، و لاينسى في خضم هذه الأحداث مطلب الشعوب في المغرب العربي وهو الوحدة بين أقطارها .

و ينزعج الشاعر لتلك المظاهر التي رآها من بعض الشباب وقد تشببهوا بالفتيات، فأرض الجزائر هي أرض الرجولة والفحولة.ويرد على هؤلاء مذكرا بما حاولته فرنسا من مسخ وسلخ لهويتنا وديننا ومشيرا إلى ما يدفع عنا هذه الرزايا وهو المساجد التي تنشر الهدي وتنير السبيل بما فعله ابن باديس في الجامع الأخضر بسيرتا وصحبه في كتشاوة بالعاصمة ومساجد وهران وغيرها مضاهاة لما فعله الأزهر الشريف في مصر والقرويين بالمغرب والزيتونة بتونس ويعود ويذكر بوحدة المغرب التي ستكون مثالا لوحدة المسلمين مستقبلا.ثم يأتي على ذكر عدد هائل من علماء وأعلام الجزائر عبر العصور(ابن الفكون، عبدالقادر البجاوي، حمدان لونيسي، عاشور الخنقي، ابن باديس، أبو حمزة الجزائري، الأخضري) ويسرد قائمة لعلماء الأمة الإسلامية من مصر وأفغانستان وغينيا وليبيا وداغستان.

وباختصار فإن مفدي زكريا في إلياذته كان صاحب نظرة ثاقبة تنظر إلى المستقبل الذي بات مهددا بتلك الأفكار المستوردة من الأساتذة المتعاونين الأجانب وبأفكار المستشرقين الذي زيفوا الحقائق، ويتطرق إلى مسألة زواج الجزائريين من أجنبيات و غلاء المهور وغيرها من الآفات الاجتماعية التي كانت تشغل بال شاعرنا وتؤرقه، ونراه يلتفت إلى الأدب والثقافة مشيرا إلى اهتمامه بالشعر القديم وهو عنده فحل كامل الفحولة.

خاتمة:

إن إلياذة الجزائر هي اختصار لتاريخ الجزائر منذ حقب ضاربة في عمق التاريخ، وهي رصد لحركته وسيرورته، وتدوين لمراحله المتعاقبة، هدفها إجلاء الحقائق دون زيف أو تحريف، وفيها تتجلى قدرة الشاعر الفذ مفدي زكريا على توظيف القصيد في حفظ أحداث التاريخ و تخليد أسماء صانعيه حتى تكون نبراس هداية للأجيال المتعاقبة من أبناء الجزائر، تبرز تكاتف وتكافل واتحاد الجزائريين على مرِّ

العصور في وجه الظلم والطغيان وكسرهم لقوة وجبروت العدو بقوة العزيمة والإصرار والتحدي على اختلاف مشاربهم الفكرية واتجاهاتهم السياسية والإيديولوجية، وهي في حاجة إلى وقفات أخرى ودراسات عميقة تجلي كثيرا من الحقائق، خاصة في الظروف التي تمرُّ بها الأمة العربية والإسلامية، ذلك أنه إذا كانت الملاحم تعتمد الأسطورة والإغراب والخوارق وتستند على أحداث قد لا تكون لها صلة بالواقع فإن إلياذة وملحمة الجزائر بُنيت على الواقع لا الخيال واعتمدت المعروف و المستنبط من تاريخ الجزائر من ثنايا الكتب.

إحالات البحث:

1. جورج غريب، ، الشعر الملحمي تاريخه وأعلامه، دار الثقافة، بيروت لبنان، د ط، د ت، ص05.

2. www.almaany.com

3. نقلا عن: علي صابري، أسباب خلو الأدب العربي القديم من الملحمة، مجلة التراث الأدبي، عدد1، سنة أولى، شوال 1429هـ، ص 83.

4. عبد النور جبور، المعجم الأدبي، دار العلم للميين، بيروت، ط2، 1984م، ص 296.

5. فؤاد المرعي، المدخل إلى الآداب الأوربية، منشورات جامعة حلب، ط2، 1417هـ/1996م، ص 23.

6. نفسه، ص23.

7. أحمد أبوحاقة، فن الشعر الملحمي عند العرب، دار الشرق الجديد، بيروت، لبنان، ط1، 1960م، ص08.

8. ميشال عاصي، الفن والأدب، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط2، 1970م، ص161/160.

9. ينظر: www.ssnp.info

10. جورج غريب، ، الشعر الملحمي تاريخه وأعلامه، مرجع سابق، ص09.(بتصرف يسير)

11. نفسه، ص 10/9.

12. علي صابري، أسباب خلو الأدب العربي القديم من الملحمة، مجلة التراث الأدبي، عدد1، سنة أولى، شوال 1429هـ، ص 86.(بتصرف)

13. ينظر للاستزادة موقع:ويكيبيديا.

14. ينظر:محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1985م، ص 666.
محمد ضان شاوش والغوثي بن حمدان، إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر، المجلد الثاني، مطبعة داود بريكسي، ط2، الجزائر، 1426هـ/ 2006م، ص 698.

15. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج10، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1998م، الجزائر، ص 506.

16. يحي الشيخ صالح، شعر الثورة عند مفدي زكريا، دار البعث للطباعة والنشر، ط1، 1407هـ/1987م، ص 49. (بتصرف)

17 ar.wikipedia.org عن ويكيبيديا.

. إلياذة الجزائر، المقدمة، ص 12. 18

. الإلياذة، ص 37. 19

. نقلا عن صفحة الدكتور:نصير شاهر الحمود على الفايسبوك.

قائمة مصادر ومراجع البحث:

1/ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت.

2/أحمد أبوحاقة، فن الشعر الملحمي عند العرب، دار الشرق الجديد، بيروت، لبنان، ط 1، 1960

3/جورج غريب، ، الشعر الملحمي تاريخه وأعلامه، دار الثقافة، بيروت لبنان، د ط، د ت.

4/عبد النور جبور، المعجم الأدبي، دار العلم للميين، بيروت، ط 2، 1984م.[11]

5/علي صابري، أسباب خلو الأدب العربي القديم من الملحمة، مجلة التراث الأدبي، عدد1، سنة أولى، شوال 1429هـ.

6/فؤاد المرعي، المدخل إلى الآداب الأوربية، منشورات جامعةحلب، ط2، 1417هـ/1996م.

7/ محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1985م.

8/محمدبن رمضان شاوش و الغوثي بن حمدان، إرشاد الحائر إلى آثارأدباء الجزائر، المجلد الثاني، مطبعة هـ داود بريكسي، ط2، الجزائر، 1426هـ، 2006م، ص698.

9/مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987م.

10/ميشال عاصي، الفن والأدب، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط 2، 1970م.

11/سعدالله(أبوالقاسم)، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1998م، الجزائر.

12/ يحي الشيخ صالح، شعر الثورة عند مفدي زكريا، دار البعث للطباعة والنشر، ط1، 1407هـ/1987م.

مواقع الأنترنت:

ar.wikipedia.org
www.almaany.com
www.ssnp.info